

أضواء البيان

@ 42 @ مرتدعين عن الكفر والضلال ، حتى تأتيهم البينة ، أي أتتهم . .
ولكن في منفيين ، وجه يرفع هذا الإشكال ، وهو أن تكون منفيين بمعنى متروكين لا بمعنى تاركين ، أي لم يكونوا جميعاً متروكين على ما هم عليه من الكفر والشرك حتى تأتيهم البينة على معنى قوله تعالى : { أَلَيْحَاسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } ، وقوله : { الْم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَآمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } ، أي لن يتركوا وقريب منه قوله تعالى : { قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَاتٍ وَمَا نَرَىٰ بِرِتَابِكَ إِلَّا عَن قَوْلِكَ } . .
وقد حكى أبو حيان قولاً عن ابن عطية قوله ، ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى ، وذلك أن يكون المراد : لم يكن هؤلاء القوم منفيين من أمر الله تعالى وقدرته ونظره لهم ، حتى يبعث الله تعالى إليهم رسولاً منذراً ، تقوم عليهم به الحجة ، ويتم على من آمن النعمة ، فكأنه قال : ما كانوا ليتركوا سدى ، ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى . .
فقول ابن عطية يتفق مع ما ذكرناه ، ويزيل الإشكال الكبير عن المفسرين ، كما أسلفنا . .
ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قول في ذلك نسوقه لشموله ، وهو ضمن كلامه على هذه السورة في المجموع مجلد 61 ص 594 قال : .
وفي معنى قوله تعالى : لم يكن هؤلاء وهؤلاء منفيين . ثلاثة أقوال ذكرها غير واحد من المفسرين . .
هل المراد : لم يكونوا منفيين عن الكفر ؟ .
أو هل لم يكونوا مكذابين بمحمد حتى يبعث ، فلم يكونوا منفيين من محمد والتصديق بنبوته حتى يبعث . .
أو المراد : أنهم لم يكونوا متروكين حتى يرسل إليهم رسول . .
وناقش تلك الأقوال وردها كلها ثم قال : فقوله : { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ } ، أي لم يكونوا متروكين باختيار أنفسهم يفعلون ما يهوون